

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث *** ذكر خبر استيلاء طاهر على بغداد [فمن ذلك ما كان من خلاف خزيمة بن خازم محمد بن هارون ومفارقتة إياه واستثمانه إلى طاهر بن الحسين ودخول هزيمة الجانب الشرقي . وأخبره أنه لو كان هو النازل في الجانب الشرقي مكان هزيمة لكان يحمل نفسه له على كل هول ، وفي مثل حاجتي إلى الكلف والنفاق ؛ قال : فكتب طاهر بذلك إلى خزيمة وقد ذكر أن طاهراً لما كاتب خزيمة كتب أيضاً إلى محمد بن علي بن عيسى بن ماهان بمثل ذلك . قيل : فلما كانت ليلة الأربعاء لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وثب خزيمة بن خازم ومحمد بن علي بن عيسى على جسر دجلة فقطعاه ، ولم يدخل هرثمة حتى مضى إليه نفر يسير غيرهما من القواد ، فقال حسين الخليل في قطع خزيمة الجسر : عَلَيْنَا جَمِيعاً مِنْ خُزَيْمَةَ مَنَّةً بِهَا أَحْمَدُ الرَّحْمَنِ نَائِرَةُ الْحَرْبِ تَوَلَّى أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ بِنَفْسِهِ فَذَبَّ وَحَامَى عَنْهُمْ أَشْرَفَ الدُّبِّ وَلَوْلَا أَبُو الْعَبَّاسِ مَا انْفَكَّ دَهْرُنَا بَيْبُتٌ عَلَى عَتَبٍ وَيَعْدُو عَلَى عَقَبِ (١) خُزَيْمَةَ لَمْ يُنْكَرْ لَهُ مِثْلُ هَذِهِ (٢) إِذَا اضْطَرَبَتْ شَرْقُ الْبِلَادِ مَعَ الْغَرْبِ أَنْأَخَ بِجَسْرِى دَجْلَةَ الْقَطْعِ وَالْقَنَا شَوَارِعَ وَالْأَرْوَاحَ فِي رَاحَةِ الْعَضْبِ (٣) وَأَمَّ الْمَنَائِمَ بِالْمَنَائِمَا مُخِيلَةً تَفْجَعُ عَنْ خُطْبٍ ، وَتَضْحَكُ عَنْ خُطْبٍ فَكَانَتْ كِنَارَ مَا كَرَّتْهَا سَحَابَةٌ فَأَطْفَأَتْ اللَّهَبَ الْمُلْفَفَ بِاللَّهَبِ وَمَا قَتَلَ نَفْسَ فِي نَفُوسٍ كَثِيرَةٍ إِذَا صَارَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْأَمْنِ وَالْخُصْبِ بِلَاءَ أَبِي الْعَبَّاسِ غَيْرَ مَكْفَرٍ إِذَا فَرَعَ الْكَرْبُ الْمَقِيمَ إِلَى الْكَرْبِ فَذَكَرَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَلْمَةَ الْكَاتِبِ أَنَّ طَاهِرًا غَدَا يَوْمَ الْخَمِيسِ عَلَى الْمَدِينَةِ الشَّرْقِيَّةِ وَارْبَاعِهَا ، وَبَاشَرَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ ، وَمَرَّ طَاهِرٌ لَا يَلُوى عَلَى أَحَدٍ حَتَّى دَخَلَ قَسْرًا بِالسَّيْفِ . وَأَمَرَ مَنَادِيهِ فَنَادَى بِالْأَمَانِ لِمَنْ لَزِمَ مَنْزِلَهُ ، وَوَضَعَ بِقَصْرِ الْوَضَاحِ وَسُوقِ الْكَرْخِ وَالْأَطْرَافِ قَوَادِمًا وَجُنْدًا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ مِنْهُمْ ؛ وَقَصَدَ إِلَى مَدِينَةِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَخَرَجَ مُحَمَّدٌ بِأُمِّهِ وَوَلَدِهِ إِلَى مَدِينَةِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَمْرٌ وَالْوَرَّاقُ : يَا طَاهِرَ الظَّهْرِ الَّذِي مِثَالُهُ لَمْ يَوْجَدْ يَا سَيِّدَ بْنَ السَّيِّدِ : نَ السَّيِّدِ بْنِ السَّيِّدِ رَجَعْتَ إِلَى أَعْمَالِهَا الْوَالِي غَزَاةَ مُحَمَّدٍ مِنْ بَيْنِ نَطَافِ وَسُؤَالِ . وَبَيْنَ مَقْرَدٍ وَمُجْرَدٍ يَاؤِي إِلَى عِيَارَةِ مُجْرَدٍ وَمُقَيَّدَ نَقَبِ السَّجُونَ فَعَادَ غَيْرَ مُقَيَّدٍ وَمَسُودَةَ بِالنَّهْبِ سَا وَكَانَ غَيْرَ مَسْعُودٍ ذُلُّوا لِعَزْكَ وَاسْتَكَا نَوَا بَعْدَ طُولِ تَمَرْدٍ وَذَكَرَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدٍ ، قَالَ : فَقَالَ أَيْضًا : مَاتَ فِيهِ الْكِبْرَاءُ أَيُّ دَهْرٍ نَحْنُ فِيهِ فَيُنَا أَمْنَاءُ هَذِهِ السَّفَلَةُ وَالْعَوُ غَاءُ مَا يَشَاءُ مَا لَنَا شَيْءٌ مِنَ الْأَثَرِ يَأْتِي إِلَّا ضَجَّتِ الْأَرْضُ وَقَدَّضَتْ إِلَى اللَّهِ السَّمَاءُ رَفَعَ الدِّينَ وَقَدَّهَا نَتَّ عَلَى اللَّهِ الدَّمَاءُ يَا أَبَا مُوسَى لَكَ الْخَيْرُ رَاتٌ قَدْ حَانَ اللَّقَاءُ هَاكِنَا صِرْفًا عُقَارًا قَدْ أَتَاكَ النَّدْمَاءُ وَقَالَ أَيْضًا عَمْرٌ وَالْوَرَّاقُ فِي ذَلِكَ : إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تُعْضِيَ فَقُلْ : يَا مَعْشَرَ الْأَجْنَادِ قَدْ جَاءَكُمْ طَاهِرٌ بِنَجْدِيَا وَتَسْتَامِرُ *** قَالَ وَتَحَصَّنَ مُحَمَّدٌ بِالْمَدِينَةِ هُوَ وَمَنْ يِقَاتِلُ مَعَهُ ، وَحَصْرَهُ طَاهِرٌ وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ ، فَأَتَيْتَهُ بِهِمَا فَأَكَلَ ، فَمَا شَرِبَ مَاءً حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَاشِدٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ نَازِلًا مَعَ مُحَمَّدِ الْمَخْلُوعِ فِي مَدِينَةِ الْمَنْصُورِ فِي قَصْرِهِ بَبَابِ الذَّهَبِ ، فَلَمَّا صَارَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : تَغْنَى ، فَغَنَتْ بِشَعْرِ النَّبَاغَةِ الْجَعْدِيِّ : 6 كَلِيبَ لِعَمْرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ نَبَأًا مِنْكَ ضَرْجٌ بِالدَّمِ (١) قَالَ : فَاشْتَدَّ مَا غَنَتْ بِهِ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهَا : غَنَى غَيْرَ هَذَا ، وَكَانَ مَوْضِعًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَا سَمِعْتَ مَا سَمِعْتَ ! قُلْتَ : لَا وَاللَّهِ ، قَالَ : تَسْمَعُ حَسَا ! قَالَ : فَدَنَوْتُ مِنَ الشُّطِّ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ بِالْمَدِينَةِ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لَسَبِعِ بَقِيْنَ مِنَ الْمَحْرَمِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتَسْعِينَ وَمِائَةٍ ، دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ مَدِينَةَ السَّلَامِ هَارِبًا مِنَ الْقَصْرِ الَّذِي كَانَ يُقَالُ لَهُ الْخَلْدُ ، * ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ مَقْتَلِهِ : ذَكَرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى الْجَدُودِيِّ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا صَارَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَعَلِمَ قَوَادِمَهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ وَلَا لَهُ فِيهَا عُدَّةٌ لِلْحَصَارِ ، دَخَلَ عَلَى مُحَمَّدِ حَاتِمِ بْنِ الصَّقْرِ وَمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ الْإِفْرِيْقِيِّ وَقَوَادِمَهُ ، قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالُوا : قَدْ تَفَرَّقَ عَنْكَ النَّاسُ ، فَنَحْمَلُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْخَيْلِ وَنَخْرُجُ لَيْلًا عَلَى بَابٍ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ فَإِنَّ اللَّيْلَ لِأَهْلِهِ ، فَكُتِبَ إِلَى سَلِيمَانَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَإِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سَنَةِ ١٩٨ ٤٧٩ عَيْسَى بْنِ نَهْيِكَ وَإِلَى السَّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكٍ : وَاللَّهِ لَنْ لَمْ تَقْرُوهُ وَتَرَدُّوهُ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ لَا تَرَكْتَ لَكُمْ ضَيْعَةً إِلَّا قَبَضْتَهَا ، وَهُمْ يَرُونَ أَلَا أَمَانَ لَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ عِنْدَ أَخِيكَ وَعِنْدَ طَاهِرٍ وَهَرْتَمَةَ لَمَّا قَدْ انْتَشَرَ عَنْهُمْ مِنْ مَبَاشَرَةِ الْحَرْبِ وَالْجِدِّ فِيهَا ؛ وَضَرَبُوا لَهُ فِيهِ الْأَمْثَالَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى الْجَلُودِيِّ : وَكَانَ أَبِي وَأَصْحَابُهُ قَعُودًا فِي رِوَاقِ الْبَيْتِ الَّذِي مُحَمَّدٌ وَسَلِيمَانُ وَأَصْحَابُهُ فِيهِ . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعُوا كَلَامَتَهُمْ ، وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدْ قَبِلَهُ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالُوا لَهُ ؛ فَكَفُوا وَأَمْسَكُوا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى : فَلَمَّا نَكْتُ ذَلِكَ فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ ، وَيَجْعَلُ لَكَ كُلَّ مَا يَصْلُحُكَ وَكُلَّ مَا تَحِبُّ وَتَهْوَى ؛ وَأَجَابَهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى هَرْتَمَةَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى : وَكَانَ أَبِي وَأَصْحَابُهُ يَكْرَهُونَ الْخُرُوجَ إِلَى هَرْتَمَةَ ؛ فَدَخَلُوا عَلَى مُحَمَّدٍ فَقَالُوا لَهُ : إِذَا بَيْتٌ أَنْ تَقْبَلَ مِنَّا مَا أَشْرْنَا عَلَيْكَ - وَهُوَ الصَّوَابُ - وَقَبِلْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَدَاهِنِينَ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى : فَقَالَ لَهُمْ : وَيَحْكُمُ! أَنَا أَكْرَهُ طَاهِرًا ؛ وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي قَائِمٌ عَلَى حَائِطٍ مِنْ أَجْرِ شَاهِقٍ فِي السَّمَاءِ ، وَعَلَى سِوَادِي وَمَنْطِقِي وَسَيْفِي وَقَلْنَسُوتِي وَخَفْتِي ؛ وَهَرْتَمَةُ مَوْلَانَا وَمَنْزِلَةُ الْوَالِدِ ، وَأَنَا بِهِ أَشَدُّ أَنْسًا وَأَشَدُّ ثِقَةً وَذَكَرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَقُلْتُ لَهَا : إِنِّي سَهَرْتُ وَنَعَسْتُ نَعَاسًا شَدِيدًا ، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى الْجَسْرِ ، قُلْتُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَتْ : نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ مَقْبِلٍ عَلَى الْجَسْرِ مَنْفَرِدًا ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ وَخَلْفَهُ جَمَاعَةٌ ؛ فَإِذَا هُوَ عَبْدٌ

الله بن موسى ، قال : فشتمتها وعنفتها . قال : وأعطيتها أخرى مثل تلك لتحرقها بين يديه ، وكان فلما جاء 6 هذا من أوائل الإديار وذكر على بن يزيد قال : لما طال الحصار على محمد ، فارقه سليمان بن أبي جعفر وإبراهيم بن المهدي ومحمد بن عيسى بن نهيك ، قال له : وكيف بهرثمة ؛ وقد أحاط الموت بي من كل جانب ! وأشار عليه آخرون بالخروج إلى طاهر وقالوا : لو حلفت له بما يستوثق به منك أنك مفوض إليه ملكك ؛ فما رأيته يميل إلى غدر به ؛ فبادر بنا إلى هرمة ؛ فإنه يرى ألا سبيل عليك إذا خرجت إليه من الملك ؛ منه و 3 فإني أرجو أن يغيب على الناس أمرنا وقال أبو الحسن المدائني : لما هم محمد بالخروج إلى هرمة ، ولا أَرْضَى أن يخرج إلى هرثمة دوني ؛ ولما رأى هرثمة والقواد ذلك اجتمعوا في منزل خزيمة بن خازم؛ فصار إليهم طاهر وخاصة قواده ، وحضرهم سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندي بن شاهك، وأنه إن لم يجتب إلى ما سأل لم يؤمن أن يكون الأمر في أمره مثله في أيام الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ؛ فقالوا له : ٤٨٢ سنة ١٩٨ لما عام يخرج ببذنه إلى هرثمة - إذ كان يأمن به ويتق بناحيته ، ثم قيل : إن الهيرش علم بالخبر أراد التقرب إلى طاهر ، فخبره أن الذي جرى بينهم وبينه مكر ، وظن أنه كما كتب به إليه ، قال : لما هم محمد بالخروج إلى هرثمة عطش قبل خروجه ، قال : وأمسى فبادر يُريد هرثمة للوعد الذي كان بينه وبينه ؛ وصار إلى هرمة فوثب به طاهر ، فسبح محمد حتى عبر وصار إلى بستان موسى ، وكان على المسلحة إبراهيم بن جعفر البلخي ومحمد بن حميد هو ابن أخي شكلة أم إبراهيم بن المهدي - وكان طاهر ولاه وكان إذا ولي رجلاً من أصحابه خراسانيا ضم إليه قوما فعرفه محمد بن حميد وهو المعروف بالطاهري ؛ وصار به إلى منزل إبراهيم بن جعفر البلخي ، كما يفعل بالأسير فذكر عن الحسن بن أبي سعيد أن خطاب بن زياد حدثه أن محمداً وهرثمة لما غرقا ، قال : فلما انتهى طاهر - ونحن معه في الموكب والحسن ابن علي المأموني والحسن الكبير الخادم للرشيد إلى باب الشام، لحقنا محمد بن حميد ، فأخبره أنه قد أسر محمداً ، وقال : ما تقولون ؟ فقال له المأموني : «ممكن» ، أي لا تفعل فعل حسين ابن علي . قال : فدعا طاهر بمولى له يقال له قريش الدنداني ، وأما المدائني فإنه ذكر عن محمد بن عيسى الجلودي ، فقمنا بين يديه بالأعمدة . قال : فجاء كتلة الخادم، ويقول : يا سيدي وافيت للميعاد لملك ، ولكن أقيم بمكانك حتى أرجع ثم أستعد ثم أتيك القابلة فأخرجك ؛ قال : فقال له محمد : ارجع إليه ، ولست أقيم إلى غد . قال : وقلق وقال : قد تفرق عنى الناس ومن على بابي من الموالى والحرس ، ثم دعا يا بنيه فضمهما إليه ، وخرجنا بين يديه إلى باب القصر ؛ حتى ركبنا دوابنا ؛ وبين يديه شمعة واحدة . قال لي أبي : يا محمد ابسط يدك عليه ؛ قال : فألقيت عنان فرسى بين معرفته ، فوقفنا فيها نسمع الصوت 20 فذكر عن أحمد بن سلام صاحب المظالم أنه قال : كنت فيمن ركب مع هرمة من القواد في الحراقة ، فلما نزلها محمد قمنا على أرجلنا إعظاماً ، ثم جعل يقبل يديه ورجليه وعينيه ، ويقول : يا سيدي و مولاي و ابن سيدي و مولاي . قال : ونظر إلى عبيد الله بن الوضاح ، فقال له : أيتهم أنت ؟ قال : أنا عبيد الله بن الوضاح ، قال : فنقبت الحراقة، ورمى بنفسه إلى الماء قال : فخرجت إلى الشط ، بين يديه نار توقد ، فقال لي : من أنت ؟ قلت : من أصحاب هرثمة ؛ أنا أحمد ابن سلام صاحب شرطة مولى أمير المؤمنين ، قال : فما فعل المخلوع ؟ قلت : قد رأيته حين شق عليه ثيابه ، وقذف بنفسه في الماء قال : قدموا دابتي ، فلما انتهى إلى مسجد أسد بن المرزبان ، قال : انزل ، وأنا أفدى نفسي بعشرة آلاف درهم . قال : فلما سمع ذكر العشرة آلاف درهم ، قلت : تحبسى عندك ٣ حتى تصبح وتدفع إلى رسولا حتى أرسله إلى وكيلي في منزلي في عسكر المهدي ، فإن لم يأتك بالعشرة آلاف فاضرب عنقي . فإذا هو إبراهيم البلخي قال : فصيرتني غلمانة في بيت من بيوت الدار فيه بوار و وسادتان أو ثلاث - وفي رواية حصر مدرجة - قال : فقعدت في البيت ، قال : فلما ذهب من الليل ساعة ؛ قال : فأدخيل على رجل عريان عليه سراويل وعمامة مثلثم بها ، فاستعبرت واسترجعت فيما بيني وبين نفسي . قال : وجعل ينظر إلي ، ثم قال : أيهم أنت ؟ قال : أنا مولاك يا سيدي ، قال : وأي الموالى ؟ قلت : أحمد بن سلام صاحب المظالم ، فقال : وأعرفك بغير هذا ، كنت تأتيني بالرقعة ؟ قال : قلت : نعم ، قال : كنت تأتيني وتلطفني كثيراً ، لست مولاي بل أنت أخي ومنى . ثم قال : يا أحمد ، قلت : لبيك يا سيدي ؛ قال : ادن مني إلى ، قال : فلم أزل أضمه إلى وأسكنه . قال : ثم قال : يا أحمد، ما فعل أخي؟ قال : قلت : هو حي ، قال : قلت : بل قبح الله وزراءك ! قال : لا تقبل لوزرائي إلا خيراً ، ولست بأول من طلب أمراً فلم يقدر عليه . قال : ثم قال : يا أحمد، ما تراهم يصنعون بي ؟ تراهم يقتلونني أو يفون لي بأيمانهم (١) ؟ قال : قلت : بل يفون لك ياسيدي . قال : وجعل يضم على نفسه الحرقه التي على كتفيه، قال : فنزعت مبطنه كانت على ثم قلت : يا سيدي ، قال : ويحك ! دعني ، وإذا هو محمد بن حميد الطاهري ، قال : فعلمت أن الرجل مقتول . قال : وكان بقي على من صلاتي الوتر ، قال : فقمت أوتر ، فقال لي : يا أحمد ، قال : فاقتربت منه ؛ وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ذهب والله سنة ١٩٨ ٤٨٧ نفسه في سبيل الله ! أما من حيلة ! أما من مغيث ! أما من أحد من الأبناء ! قال : وجاءوا حتى قاموا على باب البيت الذي نحن فيه ، قال : فقمتُ فصرت

خلف الحصر المدرجة في زاوية البيت، وجعل يقول : ويحكم ! إني ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضرب محمد وجهه بالوسادة التي كانت في يده، واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده فصاح خمارويه : قتلى قتلتني بالفارسية قال : فدخل منهم جماعة ، فمضوا به إلى طاهر ، وحملوها قال : فأصبحت فقيل لي : هات العشرة آلاف درهم وإلا ضربنا عنقك . قال : فبعثت إلى وكيلي فأتاني ، فأمرته فأتاني بها ، قال : وكان 3 دخول محمد المدينة يوم الخميس ، وخرج إلى دجلة يوم الأحد وذكر عن أحمد بن سلام في هذه القصة أنه قال : قلت لمحمد لما دخل على البيت وسكن : لاجزى الله وزراءك خيراً ، أحي هو ؟ قلت : نعم ؛ هذا القتال عمّن إذاً! هو إلا عنه ! قال : فقال لي: أخبرني يحيى أخو عامر بن إسماعيل بن عامر - وكان يلي الخبر في عسكر - هرثمة - أن المأمون مات ، قال : ثم قلت له : هذا الإزار الذي عليك إزار غليظ فالبس إزارى وقميصى هذا فإنه لين ، قال : وبيننا نحن كذلك ، واستقبلوا به طاهراً ، وحملوا جنته إلى بستان مؤنسة إلى معسكره ؛ فما خبرك ؟ قال : يا غلام ؛ فجاءوا به وفيه رأس محمد ، فقال : هذا خبرى فاعلمه . فلما أصبح نصب رأس محمد على باب الأنبار ، وأقبل طاهر يقول : رأس المخلوع محمد وذكر محمد بن عيسى أنه رأى المخلوع على ثوبه قملة ، وذكر عن الحسن بن أبي سعيد أن الجندين : جند طاهر وجند أهل بغداد ، ندموا على قتل محمد ، لما كانوا يأخذون من الأموال وذكر عنه أنه ذكر أن الخزانة التي كان فيها رأس محمد ورأس عيسى ابن ماهان ورأس أبي السرايا كانت إليه . قال : فنظرت في رأس محمد ؛ ولونه على حاله قال : وبعث طاهر برأس محمد إلى المأمون مع البردة والقضيب والمصلى - وهو من سعف مبطن مع محمد بن الحسن بن مصعب ابن عمه، وقد أدخل رأس محمد على ترس بيده إلى المأمون ، فلما رآه سجد قال الحسن : فأخبرني ابن أبي حمزة ، قال : حدثني علي بن حمزة العلوي، قال : قدم جماعة من آل أبي طالب على طاهر وهو بالبستان حين قتيل محمد بن زبيدة ونحن بالحضرة ، وكتب إلى المأمون بالإذن لنا أو لبعضنا ، فهنئونا بالنعمة ، ولقينا من بها من أهلها وسائر أهل المدينة ، وأن طاهر بن الحسين دعا مولى يقال له قريش الدندانى ، قال : فقال لنا شيخ منهم : سنة ١٩٨ ٤٨٩ كيف قلت ! فأخبرته ، فذهبنا إلى القبيلة، فوافق الاسم الاسم ! وذكر عن محمد بن أبي الوزير أن علي بن محمد بن خالد بن برمك أخبره أن إبراهيم بن المهدي لما بلغه قتل محمد ، ثم قال : عوجا بمعنى طلل داير (١) والمرمر المسنون يُطلى به (٢) والباب باب الذهب الناصر - عوجا بها فاستيقنا عندها على يقين قُدرة القادر وأبلغا عنى مقالاً إلى ال قولاً له : يا بن ولى الهدى (٣) مولى على المأمور والأمر طهر بلاد الله من طاهر لم يكفه أن حَزَّ أوداجه (٤) ذَبِح الهدايا بمدى الجازر بالخُلْد ذات الصَخْر والآجِر حتى أتى يَسْحَبُ أوصاله في شَطْنٍ يُفْنِي مَدَى السائر (٥) قد برد الموتُ على جَنَبِهِ وطفرة منكسر الناظر قال : وبلغ ذلك المأمون فاشتد عليه . الذي إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وقضاؤه عليه القتل بما كسبت يدها وما الله بظلام للعبيد . ويسلك مسلكا يجده السبيل إلى إثارة فتنة، ومتابعة الرسل بما يعرض عليه هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين ، ويسألنى من تخلية الطريق له في الخروج إليه واجتماعى وهرثمة بن أعين ؛ وكراحتي ما أحدث وراءه من أمره بعد إرهاب الله إياه ، وحيل بينه وبين الماء ؛ وتحزبوا على الوثوب به للدفع عن أنفسهم والنجاة بها ، وغير ذلك مما فسرت لأمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أرجو أن يكون قد أتاه وإني أخبر أمير المؤمنين أنى رويت فيما دبر هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين في المخلوع ، وأعلمت ذلك هرثمة بن أعين ، فصادته بعد يأس من انصرافه عن رأيه، كراهة أن يكون بيني وبينه اختلاف نصير منه إلى أمر يطمع الأعداء فينا ، أو فراق القلوب بخلاف ما نحن عليه من الائتلاف والاتفاق على ذلك ، حتى طالعت جميع أمر كل ٤٩١ سنة ١٩٨ من كنت وكلت بالمدينة والخلد برأ وبحراً ، سوى العبدة التي كانت لأركبها بنفسى لوقت ميعادي بيني وبين هرثمة ، وصيرت عدة منهم فرسانا ورجالة بين باب خراسان والمشرعة (٢) وعلى الشط وأقبل هرثمة بن أعين حتى صار بقرب باب خراسان معيدا مستعدا ؛ فظفر به قريش مولاي ، فتكفأت بهم حتى أغرقت في الماء ورسبت فانصرف بعضهم إلى المدينة ، ورمى المخلوع عند ذلك بنفسه من الحراقة في دجلة متخلصا إلى الشط ، فابتدره عدة من أوليائى الذين كنت وكلتهم بما بين مشرعة باب خراسان وركن الصراة ، حتى اضطر بوا فيما بينهم ، فأمرت بحمل رأسه إلى ، فلما أتيت به تقدمت إلى من كنت وكلت بالمدينة والخلد وما حوالها وسائر من في المسالح ، وينقطع بذلك بعل (٣) قلوبهم، وليس قبلى داع إلى فتنة ؛ وذكر عن محمد المخلوع أنه قبل مقتله، قعد في الجناح الذي كان عمله على باب الذهب - وكان تقدم في بنائه قبل ذلك - وأمر بإحضار كل من كان معه في المدينة من القواد والجنود، حمدا يدخر لى به أجزل الجزاء ، فمادت به الأيام (1) بما لزمنى به من الندامة في الخاصة والعامة ، واستعنتمونى في جميع ما كرهتهم من نفسى وفيكم، واجتهدت علم الله - في طلب رضاكم بكل ما قدرت عليه ، ومن على يدى أبيه كان فخركم، وبه تمت طاعتكم : عبد الله بن حميد بن قحطبة ، فصرتم من التائب عليه إلى ما لا طاقة ٤٩٤ سنة ١٩٨ له به ، وانتهبتمونى وحبستمونى ، حقد قلوبكم وتلكؤ طاعتكم أكبر وأكثر فالحمد لله حمد من أسلم لأمره، ورضى بقدره . وذكر أنه لما صعد المنبر

يوم الجمعة ، وحضره من بني هاشم والقواد وغيرهم جماعة كثيرة ، وقد رأيتهم من وفاء موعود الله عز وجل لمن بغى عليه ، * * * ولما فتح طاهر بغداد كتب إلى أبي إسحاق المعتصم - وقد ذكر بعضهم أنه إنما كتب بذلك إلى إبراهيم بن المهدي ، وقال الناس : كتبه إلى أبي إسحاق المعتصم : أما بعد ، فهرب منهم وتغيب أياما حتى أصلح أمرهم . . وثبوا به ، وكان قد أمر بحفظ أبواب المدينة وباب القصر على أم جعفر ، ثم أمر بتحويل زبيدة وموسى وعبد الله ابني محمد معها من قصر أبي جعفر إلى قصر الخلد ، فحولوا ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول ، وتعباً لقتالهم ومحاربتهم ، وضمنوا له ألا يعودوا لمكروه له ما أقام معهم . ولأخرجن إلى مكر وهكم ؛ فقال في ذلك بعض الأبناء : آلى الأمير - وقولُهُ وَفِعَالُهُ حَقٌّ - بِجَمْعِ مَعَاشِرِ الزُّعَارِ إِنْ هَاجَ هَاجُجُهُمْ وَشَعَبَ شَاعِبٌ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْأَقْطَارِ أَلَّا يَنْظُرَ مَعَشَرًا مِنْ جَمْعِهِمْ إِمْهَالِ ذِي عَدَلٍ وَذِي إِنْظَارٍ حَتَّى يُنْبِخَ عَلَيْهِمْ بِعَظِيمَةِ تَدْعُ الدِّيَارِ بِلَاقِعِ الْآثَارِ سنة ١٩٨ ٤٩٧ فذكر عن المدائني أن الجند لما شغبوا ، وقيام كل إنسان منهم في ناحيته بكل ما يجب عليه؛ فطابت نفسه إلا أنه قال لهم : إن القوم يطلبون أرزاقهم ، وربما كان يشتد أمر أهل الأرباض على متن بإزائهم من أصحاب محمد في الخنادق ، وكانوا من أصحاب كندغوش من أصحاب هرثمة ، فذكروا أنه لما أرادوا شده على خشبته ، وذلك يوم السبت لليلتين خلتا من صفر ذكر الخبر عن صفة محمد ابن هارون وكنيته وقدر ما ولى ومبلغ عمره قال هشام بن محمد وغيره : ولى محمد بن هارون وهو أبو موسى يوم الخميس لإحدى عشرة بقية من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقتل ليلة الأحد لست بقين من صفر سنة سبع وتسعين ومائة . وأمه زبيدة ابنة جعفر الأكبر بن أبي جعفر ؛ فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام : وقد قيل : كانت كنيته أبا عبد الله . وأما محمد بن موسى الخوارزمي فإنه ذكر عنه أنه قال : أنت الخلافة محمد بن هارون للنصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وحج بالناس في هذه السنة التي ولى فيها داود بن عيسى بن موسى ، وهو على مكة وأبو البخري على ولايته، وبعد ولايته بعشرة أشهر وخمسة أيام وجه (١) عصمة ابن أبي عصمة إلى ساوة ، وعقد ولايته لابنه موسى بولاية العهد لثلاث خلون من شهر ربيع الأول ؛ وكان على شرطه على بن عيسى بن ماهان . وحج بالناس سنة أربع وتسعين ومائة على بن الرشيد ، وعلى المدينة إسماعيل بن العباس بن محمد ، وكان بين أن سنة ١٩٨ ٤٩٩ عقد لابنه إلى اللقاء على بن عيسى بن ماهان وطاهر بن الحسين وقتل على بن عيسى بن ماهان سنة خمس وتسعين ومائة سنة وثلاثة أشهر وتسعة وعشرون يوما . ولايته مع الثلاثاء ولما قتل محمد ووصل خبره إلى المأمون في خريطة من طاهر يوما لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة أظهر المأمون الخبر ، بعيد ما بين المنكبين . وكان مولده بالرصافة وذكر أن طاهراً قال حين قتله : قتلت الخليفة في داره وأنهبت بالسيف أمواله وقال أيضا : مَلَكْتُ النَّاسَ قَسْرًا وَاقْتَدَارًا وَقَتَلْتُ الْجَبَابِرَةَ الْكِبَارَا (١) ووجهت الخلافة نحو مرو إلى المأمون تبتدراً ابتداراً . ٥٠٠ سنة ١٩٨ ذكر ما قيل في محمد بن هارون ومرثيته فما قيل في هجائه : لِمَ نُبَكِّيكَ لِمَاذَا ؟ لِلطَّرْبِ ! وَلِتَرَكِ الْخَمْسِ فِي أَوْقَاتِهَا وَسَنِيْفِ أَنَا لَا أَبْكِي لَهُ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفْ مَا حَدَّ الرِّضَا لَمْ تَكُنْ تَصْلِحُ لِلْمَلِكِ وَلَمْ أَبْهَا الْبَاكِي عَلَيْهِ لَا بَكَتْ لِمَ نُبَكِّيكَ لِمَا عَرَضْتَنَا وَلِقَوْمِ صَبْرُونَا أَعْبُدًا فِي عَذَابٍ وَحِصَارٍ مَجْهَدٍ زَعَمُوا أَنَّكَ حَى حَاشِرِي يَا أَبَا مُوسَى وَتَرَوِيحِ اللَّعْبِ حَرَصًا مِنْكَ عَلَى مَاءِ الْعَنْبِ وَ عَلَى كَوْتِ لَا أَخْشَى الْعَطْبُ لَا وَلَا تَعْرِفُ مَا حَدَّ الْغَضَبِ تَعَطَّكَ الطَّاعَةَ بِالْمَلِكِ الْعَرَبِ عَيْنٌ مَنْ أَبْكَاكَ إِلَّا لِلْعَجَبِ لِلْمَجَانِيْقِ وَطَوْرًا لِلْسَلْبِ لَهُمْ يَنْزِ وَ عَلَى الرَّأْسِ الذَّنْبِ (١) سَدَّ الطَّرْقُ فَلَا وَجْهَ طَلَبُ (٣) كُلُّ مَنْ قَالَ بِهَذَا قَدْ كَذَّبَ مِنْ جَمِيعِ ذَاهِبٍ حَيْثُ ذَهَبَ فَإِذَا مَا أُوجِبَ الْأَمْرُ وَجِبَ لَيْتَ مَنْ قَدْ قَالَهُ فِي وَحْدَةٍ (٣) أَوْجِبَ اللَّهُ عَلَيْنَا قَتْلَهُ كَانَ وَاللَّهِ عَلَيْنَا فِتْنَةٌ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَكَتَبَ وَقَالَ عَمْرُ وَبْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَرَّاقُ يَبْكِي بَغْدَادَ ، وَيَهْجُو طَاهِرًا وَيَعْرِضُ بِهِ : مَنْ ذَا أَصَابَكَ يَا بَغْدَادَ بِالْعَيْنِ أَلَمْ تَكُونِي زَمَانًا قَرَّةَ الْعَيْنِ ! أَلَمْ يَكُنْ فِيكَ أَقْوَامٌ لَهُمْ شَرَفٌ بِالصَّالِحَاتِ وَبِالْمَعْرُوفِ يَلْقَوْنِي أَلَمْ يَكُنْ فِيكَ قَوْمٌ كَانَ مَسْكَنُهُمْ وَكَانَ قَرِيبَهُمْ زَيْنًا مِنَ الزَّيْنِ صَاحِ الزَّمَانِ بِهِمْ بِالْبَيْنِ فَاَنْقَرَضُوا مَاذَا الَّذِي فَجَعَلْتَنِي لَوْعَةَ الْبَيْنِ سنة ١٩٨ ٥٠١ أستودع الله قوماً ما ذكرتهم كانوا ففرقتهم دهرٌ وصدعتهم كم كان لى مسعد منهم على زمي الله در زمان كان يجمعنا يا من يُخربُ بغداداً ليُعمرها كانت قلوب جميع الناس واحدة لما أشتهم فرقتهم فرقا إلا تحدر ماء العين من عيني والدهر يصدع ما بين الفريقين كم كان منهم على المعروف من عون أبن الزمان الذي ولى ومن أين ! أهلكت نفسك ما بين الفريقين عينا ، وليس لكون العين كالدين والناس طراً جميعاً بين قلبين وذكر عمر بن شبة أن محمد بن أحمد الهاشمي حدثه ، أن لبانة ابنة علي - ابن المهدي قالت : أبكيك لا للنعيم والأنس بل للمعالي والرمح والترس (١) أبكي على هالك فجعت به (٢) أرملني قبل ليلة العرس (٣) وقد قيل إن هذا الشعر لابنة عيسى بن جعفر ، ويطمع في رجوعه : يا خير أسرتي وإن زعموا إني عليك لمثبت أسف (٤) الله يعلم أن لى كبداً حرى عليك ومقلّة تكف ولئن شجيت بما رزنت به (٥) إني لأمر فوق ما أصف هلا بقيت لسد فافتنا أبدا ، وكان لغيرك التلف ! ٥٠٢ سنة ١٩٨ فلقد خلفت خلافاً سلفوا ولسوف يعوزُ بعدك الخلفُ لآبات رهطك بعد هفوتهم إني لرهطك بعدها شيف هتكوا بحرمتك التي هتكت حرم

الرَّسُولِ وَدُوتَهَا السُّجُفُ وَجَمِيعِهَا بِالذَّلِّ مَعْتَرَفٌ مَا تَفْعَلُ الْغَيْرَانَةُ الْأَنْفُ وَالْمُحْصَنَاتُ صَوَارِحُ هُتْفُ أَبْكَارُهُنَّ وَرَتَّتِ النَّصْفُ (٢) ذَاتُ النَّقَابِ وَنَوَزَ الشَّنْفُ دُرٌّ تَكْشَفُ دُونَهُ الصَّدْفُ فَوَهَى وَصَرَفُ الدَّهْرِ مُخْتَلِفٌ عَزَّ وَأَنْ يَبْقَى لَنَا شَرَفٌ لِلْغَانِ. فَمَضَى وَحَلَّ مَحَلَّهُ الْأَسْفُ عُرْفًا وَأَنْكَرَ بَعْدَكَ الْعُرْفُ (٦) وَثَبَتَ أَقَارِبُكَ الَّتِي خَذَلْتَ (١) لَمْ يَفْعَلُوا بِالشَّطِّ إِذْ حَضَرُوا تَرَكَوْا حَرِيمَ أَبِيهِمْ نَفْلًا أَبَدَتْ مُخْلَخِلَهَا عَلَى دَهْشِ سَلْبَتِ مَعَاجِرٍ مِنْ وَاجْتَلَيْتِ (٣) فَكَأَنَّهُنَّ خِلَالَ مُنْتَهَبٍ مَلِكٍ تَخَوَّنَ مَلِكُهُ قَدْرًا (٤) هِيَهَاتَ بَعْدَكَ أَنْ يَدُومَ لَنَا لَا هَيْبُوا صُحْفًا مُشْرِفَةً أَفْبَعِدَ عَهْدَ اللَّهِ تَقْتَلَهُ فَسْتَعْرِفُونَ غَدًا بِعَاقِبَةٍ يَا مَنْ يُخَوِّنُ وَمَهْ أَرْقُ قَدْ كُنْتَ لِي أَمَلًا غَنِيْتُ بِهِ مَرَجَ النِّظَامِ وَعَادَ مَنكَرُنَا فَالشَّمْلُ مَنْتَشِرٌ لِفَقْدِكَ وَالِدِ نِيَا سُدَى وَالْبَالُ مَنكَسِفٌ (٧) سَنَةَ ١٩٨ ٥٠٣ إِذَا ذُكِرَ الْأَمِينُ نَعَى الْأَمِينَا وَمَا بَرَحْتَ مَنَازِلَ بَيْنَ بَصْرَى عِرَاصِ الْمَلِكِ خَاوِيَةٍ تَهَادَى تَخُونُ عَزَّ سَاكِنَهَا زَمَانَ فَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ بَعْدَ اجْتِمَاعِ فَلَمْ أَرْ بَعْدَهُمْ حُسْنًا سَوَاهُمْ فَوَا أَسْفًا وَإِنْ شَمَّتِ الْأَعَادِي أَضَلَّ الْعُرْفُ بَعْدَكَ مَتَّبِعُوهُ وَكُنْ إِلَى جَنَابِكَ كُلِّ يَوْمٍ هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي هَوَتْ الْمَعَالِي سَتَنْدُبُ بَعْدَكَ الدُّنْيَا جَوَارًا فَقَدْ ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ شَيْءٍ تَعْقِدُ عَزُّ مَتَّصِلٌ بِكَسْرَى وَإِنْ رَقَدَ الْخَلَى حَمَى الْجَفُونَا وَكُلَوَادِي تَهِيحُ لِي شَجُونَا بِهَا الْأَرْوَاحُ تَنْسُجُهَا فُنُونًا تَلْعَبُ بِالْقُرُونِ الْأُولِيْنَا وَكُنْتُ بِحُسْنِ الْفَتَاهِمِ ضَنِينَا وَلَمْ تَرَهُمْ عِيُونَ النَّاطِرِينَا وَآهَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُفَقَهُ عَنِّ مَطَايَا الرَّاغِبِينَ يَرْحَنُ عَلَى السَّعُودِ وَيَغْتَدِينَا لِهَدْيِهِ وَرَبِيعِ الصَّالِحُونَ وَتَنْدُبُ بَعْدَكَ الدِّينَ الْمَصُونَا وَعَادَ الدِّينَ مَطْرُوحًا مَهِينَا وَمِلَّتِيهِ وَذَلَّ الْمُسْلِمُونَ وَقَالَ أَيْضًا يَرِثِيهِ : أَسْفًا عَلَيْكَ سَلَكَ أَقْرَبُ قَرِيبَةٍ مِنِّي وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَزِيدُ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْهَدَاهِدِ يَرِثِي مُحَمَّدًا : يَا غَرْبُ جُودِي قَدْ بُتَ مِنْ وَدَمِهِ فَقَدْ فَدَدْنَا الْعَزِيزَ مِنْ دِيَمِهِ وَصَرْتُ مُغْضَى لَنَا عَلَى نَقْمَةِ الْوَتِ بَدْنِيَاكَ كَفَ نَائِبَةً أَصْبَحَ لِلْمَوْتِ عِنْدَنَا عِلْمُ يَضْحَكُ مِنَ الْمُنُونِ مِنْ عِلْمِهِ مَا اسْتَنْزَلَتْ دَرَّةُ الْمُنُونِ عَلَى أَكْرَمِ مَنْ حَلَّ فِي تَرَى رَجِمَهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي بَرِيَّتِهِ تَقْصُرُ أَيْدِي الْمُلُوكِ عَنْ شِيَمِهِ ٥٠٤ سَنَةَ ١٩٨ سَنَا قَمَرٍ يَفْتَرُ عَنْ وَجْهِهِ يَنْشِقُ عَنْ نُورِهِ دَجَى ظَلْمِهِ زُلْزَلَتْ الْأَرْضُ مِنْ جَوَانِبِهَا إِذْ أُولِعَ السَّيْفُ مِنْ نَجِيعِ دَمِهِ مِنْ سَكَنَتْ نَفْسُهُ الْمَصْرَعَةَ مِنْ عُمَمِ النَّاسِ أَوْ دَوِي رَجِمَهُ رَأَيْتُهُ مِثْلَ مَا رَأَاهُ بِهِ حَتَّى تَذُوقَ الْأَمْرَ مِنْ سَقَمِهِ كَمْ قَدْ رَأَيْنَا عَزِيزَ مَمْلَكَةٍ يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِهِ وَعَنْ خَدَمِهِ يَا مَلِكًا لَيْسَ بَعْدَهُ مَلِكٌ لَخَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أُمَّمِهِ جَادَ وَحَيَا الَّذِي أَقَمْتَ بِهِ سَحَّ غَزِيرُ الْوَكَيْفِ مِنْ دِيَمِهِ لَوْ أَحْجَمَ الْمَوْتُ عَنْ أَحْيَى ثَقَّةَ أُسُورِي فِي الْعَزِّ مَسْتَوِي قَدَمِهِ أَوْ مَلِكٍ لَا تَرَامُ سَطْوَتُهُ إِلَّا مَرَامَ الشَّيْطَانِ فِي أَجْمَةِ خَلْدِكَ الْعَزُّ مَا سَرَى سَدْفٌ أَوْ قَامَ طِفْلُ الْعَشَى فِي قَدَمِهِ أَصْبَحَ مَلِكٌ إِذَا اتَّزَّرْتَ بِهِ يَقْرَعُ مِنَ الشَّقَاةِ مِنْ نَدَمِهِ أَثْرُ ذُو الْعَرْشِ فِي عِدَاكَ كَمَا أَثْرُ فِي عَادِهِ وَفِي إِرْمِهِ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ سُورَةَ تَلَيْتِ لَخَيْرِ دَاعٍ دَعَاهُ فِي حَرَمِهِ مَا كُنْتُ إِلَّا كَحَلْمِ ذِي حَلْمِ أَوْلَجَ بَابَ السَّرُورِ فِي حَلْمِهِ حَتَّى إِذَا أَطْلَقْتَهُ رَقْدَتَهُ وَقَالَ أَيْضًا يَرِثِيهِ : عَادَ إِلَى مَا اعْتَرَاهُ مِنْ عَدَمِهِ أَقُولُ وَقَدْ دَنَوْتُ مِنَ الْفِرَارِ سَقَيْتِ الْعَيْثَ يَا قَصْرَ الْقَرَارِ رَمْتِكَ يَدِ الزَّمَانِ بِسَهْمِ عَيْنِ فَصِيرْتَ مَلُوحًا بِدِخَانِ نَارِ أَبِي لِي عَنْ جَمِيعِكَ أَيْنَ حَلُّوْنَا وَأَيْنَ مَزَارُهُمْ بَعْدَ الْمَزَارِ وَأَيْنَ مُحَمَّدٌ وَابْنَاهُ مَا لِي أَرَى أَطْلَالَهُمْ سُودَ الدِّيَارِ ! كَأَنَّ لَمْ يُؤْتَسُوا بِأَنْبِيَاكَ عَلَى الْمُلُوكِ بِخَيْرِ جَارٍ إِمَامٍ كَانَ فِي الْحَدَثَانِ عَوْنًا لَنَا وَالْغَيْثَ يَمْنَحُ بِالْقَطَارِ سَنَةَ ١٩٨ لَقَدْ تَرَكَ الزَّمَانُ بَنِي أَبِيهِ أَضَاعُوا شَمْسَهُمْ فَجَرَتْ بِنَحْسٍ وَأَجْلَوْا عَنْهُمْ قَمْرًا مَنِيرًا وَلَوْ كَانُوا لَهُمْ كَفَوْا وَمِثْلًا أَلَا بَانَ الْإِمَامِ وَوَارِثَاهُ وَقَالُوا الْخُلْدُ بَيْعَ فَقَلْتُ ذَلَّ كَذَاكَ الْمَلِكُ يُتْبَعُ أَوْلِيَهُ وَقَدْ غَمَرْتَهُمْ سُودُ الْبِحَارِ فَصَارُوا فِي الظَّلَامِ بِلَانِ نَهَارٍ وَدَاسْتَهُمْ خُبُولُ بَنِي الشَّرَارِ إِذَا مَا تُوجُوا تِيْجَانَ عَارٍ لَقَدْ ضَرَمَا الْحَشَا مَنَا بِنَارٍ يَصِيرُ بِبَائِعِيهِ إِلَى صَغَارٍ إِذَا قُطِعَ الْقَرَارُ مِنَ الْقَرَارِ وَقَالَ مَقْدَسُ بْنُ صَيْفِي يَرِثِيهِ : خَلِيلِي مَا أَتَتْكَ بِهِ الْخُطُوبُ تَدَلَّتْ مِنْ شَمَارِيخِ الْمَنَايَا خِلَالَ مَقَابِرِ الْبَسْتَانِ قَبْرِ لَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَتَهُ عَلَى مَنْ عَلَى أَمْثَالِهِ الْعِبْرَاتُ تُدْرَى وَمَا انْخَرَتْ زَيْدُهُ عَنْهُ دَمْعًا دَعَا مُوسَى ابْنَهُ لِبَكَاءِ دَهْرٍ رَأَيْتُ مَشَاهِدَ الْخُلَفَاءِ مِنْهُ لِيَهْنِكَ أَنْتِي كَهْلٍ عَلَيْهِ أُصِيبُ بِهِ الْبَعِيدُ فخر حُزْنًا أَنَادِي مِنْ بَطُونِ الْأَرْضِ شَخْصًا لئن نَعَتِ الْحُرُوبُ إِلَيْهِ نَفْسًا فَقَدْ أَعْطَتْكَ طَاعَتَهُ النَّحِيبُ مَنَايَا مَا تَقُومُ لَهَا الْقُلُوبُ يُجَاوِرُ قَبْرَهُ أَسَدٌ غَرِيبٌ لَهُ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ نَصِيبٌ وَتَهْتِكُ فِي مَاتَمِهِ الْجِيُوبُ تُخْصُ بِهِ النَّسِيبَةُ وَالنَّسِيبُ عَلَى مُوسَى ابْنِهِ دَخَلَ الْحَزِيبُ خِلَاءَ مَا بِسَاحَتِهَا مُجِيبٌ أَدُوبٌ ، وَفِي الْحَشَا كَبِدُ تَدُوبٍ وَعَايِنُ يَوْمُهُ فِيهِ الْمُرِيبُ يَحْرِكُهُ النَّدَاءُ فَمَا يُجِيبُ لَقَدْ فُجِعَتْ بِمَصْرَعِهِ الْحُرُوبُ سَنَةَ ١٩٨ ٥٠٦ وَقَالَ خَزِيمَةُ بْنُ الْحَسَنِ يَرِثِيهِ عَلَى لِسَانِ أُمِّ جَعْفَرٍ : الْخَيْرُ إِمَامٌ قَامَ مِنْ خَيْرِ عُنْصُرِ لَوَارِثِ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ وَفَهْمِهِمْ (٢) كَتَبْتُ وَعَيْنِي مُسْتَهْلٌ دُمُوعُهَا وَقَدْ مَسْنَى ضَرْ ذَلَّ كَابَةٌ وَهَمْتُ لَمَّا لَاقَيْتُ بَعْدَ مُصَابِهِ سَأَشْكُو الَّذِي لَاقَيْتَهُ بَعْدَ فَقْدِهِ وَأَرْجُو لَمَّا قَدَّ مَرَّ بِي مِنْ فَقْدَتِهِ أَتَى طَاهِرٌ لَا طَهَرَ اللَّهُ طَاهِرًا فَأَخْرَجَنِي مَكْشُوفَةَ الْوَجْهِ حَاسِرًا يَعْزُ عَلَى هَارُونَ مَا قَدَّ لَقَيْتَهُ وَمَا فَإِنْ كَانَ مَا أَسْدَى بِأَمْرِ أَمْرَتِهِ (١) (٧) تَذَكَّرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَرَابَتِي وَأَفْضَلَ سَامَ فَوْقَ أَعْوَادِ مَنبَرِ (١) وَلِلْمَلِكِ الْمَأْمُونِ مِنْ أُمِّ جَعْفَرٍ إِلَيْكَ ابْنِ عَمِي مِنْ جَفُونِي وَمَحْجَرِي وَأَرْقُ عَيْنِي يَا بَنَ عَمِي تَفَكَّرِي فَأَمْرِي عَظِيمٌ مَنكَرٌ جَدُّ مَنكَرٍ إِلَيْكَ شِكَاةُ الْمُسْتَهَامِ الْمُقَهَّرِ (٤) فَأَنْتَ لِبَنِي خَيْرِ رَبِّ مَغِيرٍ فَمَا طَاهِرٌ فِيمَا أَتَى بِمَطْهَرٍ وَأَنْهَبُ أَمْوَالِي وَأُحْرَقُ آدْرِي (٥) مَرَبِي مِنْ نَاقِصِ الْخَلْقِ أَعُورٌ (١) صَبِرْتُ لِأَمْرِ مِنْ قَدِيرٍ مَقْدَرٍ فِدَيْتِكَ مِنْ ذِي حَرَمَةٍ مَتَذَكَّرُ وَقَالَ أَيْضًا يَرِثِيهِ : سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ الصَّمَدِ وَمَا أُصِيبُ بِهِ الْإِسْلَامَ قَاطِبَةً مَنْ لَمْ يُصَبْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ فَقَدْ أُصِيبَتْ بِهِ حَتَّى تَبِينُ فِي يَالَيْلَةَ يَشْتَكِي الْإِسْلَامُ مُدَّتْهَا مَاذَا أُصِيبْنَا بِهِ فِي صُبْحَةِ الْأَحَدِ مِنَ التَّضَعُّعِ

في ركنيه والأود يُصبح بمهلكة والهم في صُعد عقلي وديني وفي دنياي والجسدِ والعالمون جميعاً آخر الأبد سنة ١٩٨ ٥٠٧ غدرت بالملك الميمون طائفة سارت إليه المنايا وهي ترهبه بشورجين وأغتام يقودهم فصادفوه وحيداً لا مُعين له وبالإمام وبالرغامه الأسد فواجهته بأوغاد نوي عدد قريش بالبيض في قُمص من الزرد عليهم غائب الأنصار بالمدد فرداً فيالك من مُستسلم فرد أبهى وأنقى من الفوهية الجدد والسياف مرتعد في كف مرتعد منكس الرأس لم يُبدي ولم يعد أدرتة عنه يده فعل مُتند كضيق شرس مُستبسل لبد للأرض من كف ليث مُخرج حرد وقام منفلتا منه ولم يكد نقصت من أمره حرقاً ولم أزد أحنى عليه الذي أحنى على لبد فجرعوه المنايا غير ممتنع. يلقى الوجوه بوجه غير مبتذل واحسرتا وقريش قد أحاط به فما تحرك بل ما زال منتصباً حتى إذا السيف وافى وسط مفارقة وقام فاعتلقت كفاه لبتة فاحتزه ثم أهوى فاستقل به فكاد يقتله لو لم يكاثره هذا حديث أمير المؤمنين وما زلت أُنديه حتى الممات وإن وذكر عن الموصلي أنه قال 3 : لما بعث طاهر برأس محمد إلى المأمون بكى نو الرياستين ، أمرناه أن يبعث به أسيراً فبعث به عقيراً ! وقال له المأمون : قد مضى ما مضى فاحتل في الاعتذار منه ؛ وجاء أحمد بن يوسف بشبر من قرطاس فيه : فرق وخروجه من أما بعد ؛ وأحصد (1) الأمير المؤمنين أمره ، وما ينتظر من صادق وعده حين رد به الألفة بعد فرقتها ، وجمع الأمة بعد شتاتها ، وأحيا به أعلام الإسلام بعد دروسها . ففي ذلك يقول بعضهم : ألا يا مُرمن المثنوى بطوس (٢) عزيزاً ما يُفادى بالنفوس لقد أبقيت للخصيان بعلا (٣) تحمّل منهم شوم البسوس فأما نوفل فالشأن فيه وفي بدر ، وما للغانيات لديه حق سوى التقطيب بالوجه العبوس إذا كان الرئيس كذاً سقيماً فكيف صلاحنا بعد الرئيس ! فلو علم المقيم بدار طوس لعز على المقيم بدار طوس قال حميد : ولما ملك محمد وجه إلى جميع البلدان في طلب الملهين وضمهم إليه ، ونافس في ابتياع فره الدواب ، وأنفق في عملها مالاً عظيماً ، وصف العباس غلمانه ومواليه على سور داره ، فاستأذن عليه فدخل إليه ، ألسنت في الطاعة! قال : بلى ، قال : فخرج في سواده ، قال : يا غلام ؛ فإذا العالمون قد جاءوا ، وجعلت تطلب إلى محمد ، فقال لها : والله إني لأظنني سأسطو بك . ويدخل عليه ثلاثة رجال من مواليه من مشايخهم يخدمونه ، فما ترك لأم جعفر شيئاً من الشتم إلا قاله ، وإسحاق بن موسى يأخذ البيعة للمأمون . قال : ثم لم يكن إلا يسيراً حتى قتل الحسين ، وهرب العباس إلى نهر بين إلى هزيمة ، ووجه محمد إلى منزله ، وفيهما سبعون ألف دينار فلما انقضت الفتنة وقتل محمد رجع إلى منزله فأخذ القمقين وجعلهما وحج في تلك السنة ، قال أحمد بن إسحاق : وكان العباس بن عبد الله يحدث بعد ذلك ؛ ٥١٢ سنة ١٩٨ فيقول : قال لى سليمان بن جعفر ونحن في دار المأمون : أما قتلت ابنك بعد ؟ فقلت : يا عم ، جعلت فداك ! ومن يقتل ابنه ! فقال لى : اقتله ؛ فهو الذى سعى بك وبمالك فأفقرك وذكر عن أحمد بن إسحاق بن برصوما ، قال : ويحكم ! ما أحد يستراح إليه ! فقيل له : بلى ، وهو بقية من بقايا العرب ، قال : فأرسلوا إليه ، فلما صار إليه قال له : إني قد خبرت بمذهبك ورأيك ، فإذا مشى الناس تبيينوا بطلانها قال أحمد بن إسحاق : كأنى أنظر إلى بكير بن المعتمر شيخ عظيم الخلق وذكر عن العباس بن أحمد بن أبان الكاتب ، قال : حدثنا إبراهيم بن الجراح ، فأمر بهن فأزلن ، فلما استوين على الدكان اندفعن فغنين : سنة ١٩٨ 110 من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار (١) يجد النساء حواسراً يندبته يطمئن قبل تلبج الأسحار قال : فضجير وفعل مثل فعلته الأولى ، ثم قال : أصعدى عشرأ ، اندفعن يغنين بصوت واحد : كليب لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر ندياً منك ضرج بالدم (٢) قال : فقام من مجلسه ، وأمر يهدم ذلك المكان تظيراً مما كان فاشتد وذكر عن محمد بن عبد الرحمن الكندي ، وقتل بعد ذلك بأيام يسيرة – وهي أم موسى بن وذكر عن أبي سعيد أنه قال : ماتت فطيم محمد بن هارون المخلوع – فجزع عليها جزعاً شديداً ، فقال : يا سيدتى ، فقالت : نفسى فداؤك لا يذهب بك اللهف في بقاءك ممن قد مضى خلف (١) عوضت موسى فهانت كل مرزبة ما بعد موسى على مفقودة أسف وقالت : أعظم الله أجرك ، وجعل العزاء عنها ذخرك ! وذكر عن إبراهيم بن إسماعيل بن هانى ، فقال لها : لمن 3 الأبيات ؟ فقيل له : لأبي نواس ، فقال : وما فعل ؟ فقيل له : محبوس ، فقال : ليس عليه بأس . فأنشأ يقول : مرحباً مرحباً بخير إمام صبيع من جوهر الخلافة نحنأ (٣) يا أمين الإله يكلوك الله ه مقيماً وظاعناً حيث سرتنا إنما الأرض كلها لك دار فللك الله صاحب حيث كنا (٤) ٥١٦ سنة ١٩٨ قال : فخلع عليه ، وجعله في ندمائه وذكر عن عبد الله بن عمرو التميمي ، فحبسه الفضل بن الربيع ثلاثة أشهر ، فدعا به وعنده بنو هاشم وغيرهم ، أنا امرؤ مضى أشهر لى مد حبست ثلاثة فإن كنت لم أذنب ففيم تعقى ! هو البدر إلا أنه الدهر مُقمر عليه له منها لباس ومئزر وينظر من أعطافه حين ينظر رهين أسير في سجونك مقفر كأي قد أذنبت ما ليس يُغفر وإن كنت ذا ذنب فغفوك أكثر قال : فقال له محمد : فإن شربتها ؟ قال : دمي لك حلال يا أمير المؤمنين ، قال : فكان أبو نواس يشمها ولا يشربها وهو قوله : * لا أدوق المدام إلا شميما . وذكر عن مسعود بن عيسى العبدى ، فرأى فيه أبا نواس – ولم يكن يعرفه – فقال له : يا شاب ، قال : فلعلك ممن يعبد الكيش ! قال : أنا أكل الكيش بصوفه ، سنة ١٩٨ ١٧ . قال : فلعلك ممن يعبد الشمس ؟ قال

: إني لأتجنب القعود فيها بغضاً لها ، قال : فبأي جرم حبست ؟ قال : حبست بتهمة أنا منها برىء ، قال : فجاء إلى الفضل ، وتقدم إليه أن يجتنب الخمر والسكر ، قال : فأخرج ، قالوا : وإن لم تشرب فأنسنا بحديثك ، فلما دارت الكأس بينهم ، 3 وأنشأ يقول :
نَالَيْتِ بِالْمَلَامِ فِيهَا إِمَامٌ لَا أَرَى فِي خِلافِهِ مُسْتَقِيمًا (٢) يَهِيَ الرَّائِحَانَ بِاللُّومِ لَوْ مَا لَا أَذُوقُ الْمُدَامَ إِلَّا شَمِيمًا (١) فَاصْرِفَاهَا إِلَى سِوَايَ
فَأَيُّ لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمًا إِنَّ حَظِي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ (٣) أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشَمَّ النَّسِيمَا فَكَأَنِّي وَمَا أَحْسَنَ مِنْهَا فَعَدِي يُزِينُ
التحكيمًا كُلٌّ عَنِ حَمَلَةِ السِّلَاحِ إِلَى الْحَزِّ (٤) ب فأوصى المطيق ألا يُقيما وذكر عن أبي الورد السبعي أنه قال : كنت عند الفضل
بن سهل بخراسان ، فقال : كيف لا يستحل قتال محمد وشاعره يقول في مجاسه : أَلَا سَقَّنِي خَمْرًا وَقَلَّ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْفِينِي سِرًّا
إِذَا أَمَكَّنَ الْجَهْرُ (٥) قال : فبلغت القصة محمداً ، ثم تقول : ولا صاحب التاج المحجب في القصر . ووضع قدحه تحت السماء ،
فكم ترى أني أشرب الساعة من الملائكة ! ثم شرب ما في القدح ، فأمر محمد بحبسه ، فمن لي اليوم بالمأمون ! سنة ١٩٨ قال :
وبلغت المأمون أبياته ، فقال : والله لمن لحفته لأغنيبه غنى لا يؤمله ، قال : فمات قبل دخول المأمون مدينة السلام . قال : ولما
طال حبس أبي نواس ، قال في حبسه - فيما ذكر - عند عامة - : يا جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ احمداوا الله جميعاً ثم قولوا لا تَمَلُّوا رَبَّنَا أَبْقِ
الْأَمِينًا صِيرِ الْخَصِيانَ حَتَّى صَيَّرَ التَّعْنِينَ دِينًا فَاقْتَدَى النَّاسَ جَمِيعًا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قال : وبلغت هذه الأبيات أيضا المأمون وهو
بخراسان ، فقال له : لعلك أردت غيري ! قال : لم أرد أحداً سواك . فقال : من أنت ؟ قال : خادمك الحسن بن هاني ، إنه عرضت
بقلبي أمثال أحببت أن تجعلها في شعر ، واكسرى عوداً على أنفك ، وقال : وَبَاعِنَاتٍ إِلَى فِي الْعَلَسِ أَنْ التِّنا واحترس من العَسَسِ
حتى إِذَا نُومَ الْعُدَاةُ وَلَمْ أَخْشَ رَقِيبًا وَلَا سَنًا قَبَسَ رَكِبَتْ مُهْرِي وَقَدْ طَرِبْتُ إِلَى حَوْرٍ حِسَانَ نَوَاعِمِ لَعَسِ فَجِئْتُ وَالصَّبْحُ قَدْ نَهَضَتْ
له فبئس والله ما جَرَى فَرَسِي فقال : خذهن لا بارك الله لك فيهن ! وذكر عن الموصلي ، بفرش أجود ما يكون من فرش الخلافة
وأسواه ، فأحببت أن أفرشه لك ، وقال : مزقوه ، قال : فرأيت والله الخدم والفراشين قد صيروهم ممزقا وفرقوه وذكر عن محمد بن
الحسن ، قال : حدثني أحمد بن محمد البرمكي أن إبراهيم بن المهدي غنى محمد بن زبيدة : سنة ١٩٨ ٥٢١ هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا
يَعْرِفُ الْقَبِيلِي وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ (١) فطرب محمد ، وذكر عن علي بن محمد بن إسماعيل ، قال : يا غلام ، فعاودني
بمثل ذلك الكلام ، فدعا بأخرى حتى فعل ذلك بثلاث جباب ظاهرت بينها . قال : فلما رآها على ندم وتغير وجهه ، انذهب إلى
الطباخين فقل لهم : يطبخوا لنا مصلية ، في وسطه غضارة ضخمة ورغيفان ، فوضعت بين يديه ، فكسر لقمة فأهوى بها إلى
الصحيفة ، قلت : يا سيدي ، وقال : قم لعنك الله ! فقممت ، ودعوت القصارين والوشائين ، فجهدت جهدي أن تعود كما كانت فما
عادت وذكر عن البحرى أبي عبادة ، قال : كنت عند محمد في يوم شات شديد البرد ؛ لا يستطيع أن يشم رائحة البطيخ ولا يأكله ،
فقال : يا عبيد الله هذا فيك ؟ قال : قلت : إي والله يا سيدي ابتليت به ، فلما رأيت أنه أظهرت القشعريرة منه ، قال : خذوه ، قال :
فقلت : يا سيدي ، الله الله في ! قال : كل بطيخة ولك فرش هذا البيت ؛ على عهد الله بذلك وميثاقه ، وأنا أريه أي بكره أفعل ذلك
وألطم رأسي ، فلما فرغت تحول إلى بيت آخر ، وأطعمني ثلاث بطيخات ، فأقبل على منصور ومحمد غائب عن المجلس ، أرمي
بعبيد الله إلى البركة وتضحك منه . ولكني أدلك على شيء خيرت به ، قال : ما هو ؟ قال : تأمر به يشد في تخت ، فقال : طيب والله
؛ ثم أمر فحملت وألقيت على باب المتوضأ ، فمكثت بذلك ما شاء الله وهو يضحك . وكان يوما يعد للخلفاء قبله على هيئة ما كان
يتهيأ لكل واحد منهم يأكل من كل طعام ، على هيئة القبة العبد صمدية ، ثم لم يزل كذلك حتى لم يبق على الخوان شيئا . وذكر عن
علي بن محمد أن جابر بن مصعب حدثه ، قال : حدثني مخارق ، ٥٢٤ سنة ١٩٨ إذ أتاني رسول محمد - وهو خليفة فركض بي
ركضا ، واتبعاه في لحنه قال : وإذا السورنای والجوارى واللعايون في شيء واحد : * هذى دنانير تنساني وأذكركها . تتبع الزمار .
ومحمد في الكرج ما يسأمه ولا يمله حتى أصبح يدنو منا ، وأحيانا يحول بيننا وبينه الجوارى والخدم . فأصاب الرجل ستة دنانير ،
وكان ذلك ما لا عظيماً * ** وذكر عن ابن الأعرابي ، فخرج وهو يقول : لولا أبو العباس ما نظرت أهلي أتيتكم من القبر والناس
محتبسون للحشر عيني إلى ولد ولا وفر فالله ألبسنى به نعماً شَعَلْتُ حسابتها يدي شكرى لِقِيئُهَا من مفهم فهم فمددتها بأنامل عشر
٥٢٥ سنة ١٩٨ وذكر عن الرياشي أن أبا حبيب الموشى حدثه ، قال : كنت مع مؤنس ابن عمران ، فقال لي مؤنس : لو دخلنا 3
على أبي نواس ! فدخلنا عليه السجن ، فقال لمؤنس : يا أبا عمران ، أين تريد ؟ قال : أردت أبا العباس الفضل بن الربيع ، قال :
فتبلغه رقعة أعطيها ؟ قال : نعم ، قال : فأعطاه رقعة فيها : ما من يد في الناس واحدة إلا أبو العباس مولاها وسرى إلى نفسي
فأحياها نام الثقات على مضاجعهم قد كنت خفتك ثم أمنتني من أن أخافك خوفك الله فعفوت عنى عفو مقدر وجبت له نقم فألغاها
قال : فكانت هذه الأبيات سبب خروجه من الحبس . وذكر عن محمد بن خالد الشروى ، قال : حدثني أبي قال : سمع محمد شعر
أبي نواس وقوله : . الاسقني خمرا وقل لي هي الخمر . وقال : إيه ! أنت كافر ، واستاق المواشى وفيها ولى المأمون كل ما كان

طاهر بن الحسين افتتحه من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن الحسن بن سهل أبا الفضل ابن سهل ؛ وهو مقيم ببغداد بتسليم جميع ما بيده من الأعمال في البلدان كلها إلى خلفاء الحسن بن سهل، وأن يشخص عن ذلك كله (١) إلى الرقة ، فدافع طاهر عليا بتسليم الخراج إليه؛